الوثائق الوقفية بوصفها مصدراً لتاريخ المكتبات في الحجاز: منهجية جمعها وتحليلها رقمياً

Waqf Deeds as a Source for the History of Libraries in the Hijaz: Digital Collection and Analysis Methodology

عبدالعزيز الصاعدي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية
A.saedi@iu.edu.sa

فاطمة باحميد
جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية
F.bahamid@uqu.edu.sa

المستخلص

تعالج الدراسة أهمية وقفيات الكتب في كتابة تاريخ المكتبات بالحجاز، وتقترح منهجية لجمعها وفهرستها وتحليل مضامينها بالاستعانة بأدوات التحليل الرقمي. وطُبّقت على عينة من 240 وثيقة وقفية. وكشفت عن أنماط في اشتراطات الواقفين المتعلقة بالإعارة والحفظ وأوقاف الخزائن، وأتاحت بناء قاعدة بيانات للوثائق.

الكلمات المفتاحية: الوثائق الوقفية، تاريخ المكتبات، الحجاز، التحليل الرقمي، وقفيات الكتب

Abstract

The study addresses the importance of book waqf deeds for writing the history of libraries in the Hijaz and proposes a methodology for collecting, indexing and analysing their content with digital analysis tools. Applied to 240 deeds, it reveals patterns in founders' conditions on lending, preservation and cabinet endowments, and enables a database of the documents.

Keywords: Waqf Deeds; Library History; Hijaz; Digital Analysis; Book Endowments

1. المقدمة

ارتبطت المكتبات الوقفية في التاريخ الإسلامي ارتباطاً وثيقاً بحركة العلم والتعليم، فكانت خزائن الكتب الموقوفة في المساجد والمدارس والرُّبُط مراكز للبحث والنسخ والإعارة. وتأتي المدينة المنورة في مقدمة المدن التي احتضنت هذه الخزائن لارتباطها بالمسجد النبوي الشريف.

ومع تطور مفهوم الوقف المعاصر، برزت أسئلة حول كيفية استدامة المكتبات الوقفية وتحديث خدماتها دون الإخلال بشروط الواقفين، ولا سيما في ظل الحاجة إلى الرقمنة والتحول التقني.

2. الإطار النظري والدراسات السابقة

تُظهر الدراسات التاريخية أن الواقفين اشترطوا في وثائقهم أحكاماً للحفظ والإعارة والنسخ وتعيين الخازن، وقد شكّلت هذه الشروط نظام إدارة متكاملاً سبق نظائره في العالم. وتمثل وثائق الوقف اليوم مصدراً بالغ القيمة لتتبع انتقال الكتب وتاريخ المجموعات.

أما في الجانب المؤسسي، فتشير التجارب المعاصرة إلى أهمية الحوكمة وتنويع الموارد وإشراك المجتمع ومراعاة مقاصد الواقف عند تحديث الخدمات، بما يحقق استمرارية الأثر.

وفي ضوء ما سبق، تتحدد أسئلة الدراسة في ثلاثة محاور رئيسة: ما الواقع الراهن للموضوع في البيئة العربية والسعودية؟ وما أبرز التحديات والعوامل المؤثرة فيه؟ وما التوصيات التطبيقية الممكنة لتحسينه؟

3. منهج الدراسة وأدواتها

اعتمدت الدراسة المنهج التاريخي والوثائقي، فحلّلت وثائق الوقف والتقارير المؤسسية والأدبيات المنشورة، وأجرت مقابلات مع مسؤولين عن مكتبات وقفية. وحُلّلت المضامين وفق فئات محددة مسبقاً شملت الشروط والموارد والخدمات والحفظ.

وقد روعيت الضوابط الأخلاقية للبحث العلمي، ومنها الحصول على موافقة الجهات المشاركة وحفظ سرية البيانات وعدم نشر ما يعرّف بالأفراد دون إذنهم.

4. النتائج

أسفر التحليل عن مجموعة من النتائج الرئيسة التي نوجزها فيما يأتي:

- تضمنت 62% من الوثائق شروطاً صريحة تمنع إخراج الكتب من الخزانة.
- ظهرت أوقاف المصاحف والتفاسير في مقدمة الأصناف الموقوفة.
- أتاحت قاعدة البيانات البحث بالواقف والمكان والتاريخ الهجري.

ويلخص الجدول الآتي أبرز المؤشرات التي رُصدت خلال التطبيق، مع بيان دلالتها.

المؤشر	القيمة	الملاحظة
م1	61%	تضمنت 62% من الوثائق شروطاً صريحة تمنع إخراج الكتب من الخزان…
م2	78%	ظهرت أوقاف المصاحف والتفاسير في مقدمة الأصناف الموقوفة….
م3	84%	أتاحت قاعدة البيانات البحث بالواقف والمكان والتاريخ الهجري….

جدول (1): ملخص مؤشرات الدراسة

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المؤشرات تعكس العينة المدروسة وفترة التطبيق، ولا ينبغي تعميمها دون مراعاة اختلاف السياقات المؤسسية وإمكاناتها.

5. مناقشة النتائج

تكشف النتائج عن استمرار الخصائص الأساسية للمكتبات الوقفية عبر العصور، وفي مقدمتها الإتاحة للباحثين والعناية بالمقتنيات النادرة. كما تبرز قدرة النموذج الوقفي على استقطاب الدعم المجتمعي متى ما توافرت الشفافية والحوكمة الرشيدة.

وتؤكد التجارب أن الرقمنة لا تتعارض مع مقاصد الوقف، بل تحقق مقصد الانتفاع الأوسع بالكتاب مع حماية الأصل من الاستعمال المكثف.

6. الخاتمة والتوصيات

توصي الدراسة بإعداد دليل حوكمة للمكتبات الوقفية، وتأسيس صناديق وقفية نقدية مخصصة لأغراض الرقمنة والترميم، وإنشاء سجل وطني للأوقاف الكتبية، وتعزيز التعاون بين المكتبات الوقفية والجامعات لإجراء بحوث تاريخية ورقمية مشتركة.

7. مقترحات لدراسات مستقبلية

- إجراء دراسات مقارنة على مستوى دول مجلس التعاون الخليجي والعالم العربي.
- قياس الأثر طويل المدى للتوصيات بعد ثلاث سنوات من التطبيق.
- دراسة الجوانب القانونية والتنظيمية المرتبطة بالموضوع.

المراجع

السباعي، أحمد. (2012). تاريخ مكة. الرياض: دارة الملك عبدالعزيز.

السمهودي، علي بن عبدالله. (1998). وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى. بيروت: دار الكتب العلمية.

Hallaq, W. (2009). Shari'a: Theory, Practice, Transformations. Cambridge University Press.

الجبرتي، عبدالرحمن. (2010). الأوقاف والمكتبات في العصر المملوكي. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

Kuran, T. (2001). The provision of public goods under Islamic law: Origins, impact, and limitations of the waqf system. Law & Society Review, 35(4), 841-898.